غزة والهدنة الجديدة: من يربح معركة المفاوضات؟

■ حميدي العبدالله

تم التوافق مجدّداً على اقتراح مصري بوقف إطلاق النار لمدة 72 ساعة لأجل استمرار المفاوضات غير المباشرة والوصول إلى اتفاق حول التهدئة الدائمة.

واضح أنّ مصالح الطرفين دفعتهما إلى الموافقة على الاقتراح المصري. العدو الصهيوني الذي أعلن قادته أنهم لن يفاوضوا في ظل استمرار إطلاق الصواريخ على الكيان، تمنحهم الهدنة فرصة العودة إلى المفاوضات كأنهم حققوا شروطهم، والطرف الفلسطيني يحقن دماء المواطنين ويحول دون سقوط المزيد من الشهداء والجرحى ووقوع المزيد من الدمار، لكن من دون رفع سيف العودة إلى إطلاق الصواريخ إذا لم تستجب حكومة العدو لمطالبه المشروعة.

لكن الأمر الأهمّ من المصالح والحسابات التي أملت على كلا الطرفين القبول بوقف إطلاق النار لمدة 72 ساعة يكمن في السؤال الآتي: هل يقود وقف إطلاق النار إلى نجاح المفاوضات هذه المرة، وتحقيق الفلسطينيين مطالبهم، وتوازي نتيجة هذه المواجهة حجم التضحيات التي قدمها الشعب الفلسطيني؟

أولاً، حتى هذه اللحظة توافرت للطرف الفلسطيني شروط لم تتوافر في أي مواجهة سابقة، ومن أبرز هذه الشروط وحدة الموقف الفلسطيني ووجود مصلحة مشتركة لجميع الأطراف الفلسطينية، خاصة فتح والسلطة وحماس، في تحقيق جميع المطالب التي طرحها الفلسطينيون كشروط للعودة من جديد إلى التهدئة. ولعلّها المرة الأولى منذ اتفاقات أوسلو، بل منذ مفاوضات مدريد عام 1991، يتفق جميع الفلسطينيين على مطالب موحدة في مواجهة الاحتلال «الإسرائيلي» والقوى والجهات الدولية والعربية والإقليمية الداعمة له، ومن أبرز هذه الشروط أن المقاومة تملك قدرات عسكرية وبنية تحتية عسكرية تؤهلها لخوض حرب استنزاف ضد العدو تمتد لأشهر وليس لأسابيع، إضافة إلى قدرات عسكرية تهدد بإحداث شلل في مناطق واسعة من الكيان الصهيوني الغاصب. وبديهي أن هذه الشروط ستكون ذات تأثير كبير في مجرى المفاوضات غير المباشرة، وفي النتائج التي يمكن التوصل إليها عاجلاً أم آجلاً.

ثانياً، يواجه الكيان الصهيوني مأزقاً حقيقياً في مواجهة المقاومة، ويتجلى هذا المأزق بعناصر عدة أبرزها عدم قدرته على شن عدوان بري بعد تجربته المحدودة في التوغل في المناطق الآهلة والخسائر الكبيرة التي تكبدها إذ خسر 64 جندياً قتيلاً و1620 جندياً جريحاً. أما استمرار العدو الصهيوني في قصف المناطق الآهلة في غزة وارتكابه جرائم بشعة في حق المدنيين فإنها تؤلب الرأي العام الدولي ضده، ولعل حجم التظاهرات التي تخرج كل يوم سبت في أوروبا والولايات المتحدة وأستراليا منذ شن العدو عملياته ضد غزة، خير دليل على ذلك، وتشكل هذه الجرائم عنصراً آخر من عناصر مأزقه، كما أن العدو لا يستطيع احتمال استمرار مستعمراته في النقب، تحت وابل الصواريخ التي يصعب على «القبة الحديد» اعتراضها، إضافةً إلى الإرباك الذي يتركه إطلاق الصواريخ على منطقة «غوش دان» بما في ذلك مدينة «تل أبيب»، و«مطار بن غوريون» في اللد، وهو العنصر الثالث في المأزق الصهيوني.

الشروط المتوافرة للطرف الفلسطيني وعناصر المأزق الصهيوني تتيح فرصة حقيقة للمقاومة الفلسطينية لتحقيق مطالبها، بما في ذلك فتح ميناء ومطار ورفع الحصار عن قطاع غزة، وفتح المعابر، خاصة معبر رفح، من دون تقديم التنازلات التي يسعى العدو الصهيوني وحماته في الغرب وفي المنطقة العمل إلى تحقيقها.

غزّة في سوق النخاسة القطرية- التركية

■ فهد المهدي

في غمرة الإخفاقات السياسية والأخلاقية المتتابعة للعائلة الحاكمة القطرية المولودة من رحم المجهول، والحرباء السامة المتلوّنة المتمثّلة بـ«أردوغان»، رئيس وزراء تركيا، وهما متحالفان مع تيار الإسلام السياسي، وتحديداً مع جماعة «الإخوان المسلمين» في طول المنطقة وعرضها، وتعصيان التفسير والتحليل بسبب تنقلهما المستمر بين المواقع السياسية المتقابلة، من النقيض إلى النقيض، وتعاظم دورهما باطراد منذ اندلاع حوادث ما يسمى بـ«الربيع العربي»، وهما رعاته الأساسيين والداعمين له والماكنات لتفريخ الإرهابيين ونشرهم بغية زعزعة دول لا مصلحة معها سوى إعلان العداء للكيان الصهيوني الذي تربطهما به علاقات اقتصادية ودبلوماسية ودفاع مشترك!

العدوان «الإسرائيلي» لغزة وتورّطه في رمال متحركة فتح سوق النخاسة القطرية التركية على مصراعيه ليكشف لنا أغرب علاقة شهدها التاريخ مع الكيان الصهيوني على حساب القضية الفلسطينية، فاستمرّ التمثيل والضحك على ذقون الشعوب العربية والإسلامية، واستغباؤها ساري المفعول في ظل موقف يدعي دوماً وقوفه إلى جانب القضية الفلسطينية كدعاية تغطي حجم انغماس قطر وتركيا مع الكيان الصهيوني.

رائحة السياسة الكريهة والعهر السياسي الفاضح من الإمارة «الإسرائيلية» مستضيفة قواعد الأميركيين، وأول دولة مستبدة وتابعة بامتياز منذ اعترافها بـ «إسرائيل» عام 1949 تركيا، تفوح من سوق نخاستهما لتزداد نتانة بقيادات كنا نعتبرها سابقاً مقاومة، لكن بعد تورطها في مستنقع الخزي والعار ورغبتها في الفنادق وتخليها عن الخنادق على رغم إدراكها أكثر من غيرها أن قطر وتركيا تنفذان الأجندة الصهيونية، وأن ما يحصل راهناً في غزة مفتعل ومخطط له، جعل من هذه القيادات الباب الشرعي لهذه السوق.

سوق النخاسة التي فتحت تحت عنوان مبادرة قطرية ـ تركية ما هي سوى كلمات عابرة وتصريحات زائفة حول حقيقة خفية وصفقات تحت الطاولة ضحيتها الأولى والأخيرة غزة، لتشيّع شهداءها بحفنة من الكلمات تزف وتسوّق لتضليل الرأي العام، خاصة في ظل امتلاك قطر وتركيا ترسانة إعلامية كبيرة تمكّنهما من تسويق الزيف على أنه حقيقة.

على رغم أنّ الكيان الصهيوني يعلن عدم رغبته في دخول هذه السوق ويطالب بإزاحة المبادرة كونها تتبنى مطالب المقاومة، إلاّ أن هذا الكيان يعلم أن «الأخوّة» بينه وبين قطر مثلما عبر عنها وزير الخارجية القطري عطية في المؤتمر الدولي في ميونيخ، وأن تاريخ تركيا الذي يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن مواقفها تتطابق مع مواقف «إسرائيل» تماماً، فيثق تمام الثقة بهما كونهما أفضل شريكين يضعان السم في العسل، فالصورة الوردية التي يقدمها تجار الدماء في قطر وتركيا، ويصدقها بعض السذج من نخبتنا، تظهر الحقائق أنهما يسعيان راهناً إلى اغتنام الفرصة لوضع غزة في سوق نخاستهما لتبدأ فيها حرب المزايدات وتصفية الحسابات، بينما يترقب الصهاينة آخر «سعر» تباع به غزة!

المشروع السياسي والعسكري الذي يفرضه الكيان الصهيوني على غزة والذي يجد له قواسم مشتركة مع تركيا وقطر مستغلين الحالة العصيبة التي تمر بها الأمة العربية وحالة الذهول والصدمة التي تسيطر عليها، فضح بلدان المجون السياسي ومشاركتها في سفك الدم الفلسطيني، ففتحت أسواق لصرف الأنظار عن مجازر الصهاينة في غزة ولإيجاد تبريرات للعدوان، كي تكتمل صفقات المتاجرة الدنيئة في ما بينهم.

سوق النخاسة القطرية التركية طعنة من خنجر مسموم لغزة وللشعب الفلسطيني، لتوفير الغطاء والوقت للعدوان الصهيوني وتبرير عدوانه وإخفاء مجازره البشعة، فدولتا العهر تبيعان نصر المقاومين للقتلة، وتُظهر لهم حقيقة انقسامهم، وتشعرهم بالارتياح، وتفتح لهم المجال لتبرير عدوانهم بأنه دفاع عن النفس من إرهابيين!

غزة الجريحة التي فجّرت القيح المتراكم في دمّل دول التبعية وتجار الحروب، صوتها مرتفع راهناً، وسقف مطالبها يتجاوز سائر آمال المتربصين بها، فجذور مشكلتها مع خونة باعوها منذ زمن بعيد رضوا بالوضاعة وتسنّموا مقعداً رفيعاً فوق قمة الذل، وما يحصل في سوق نخاسة الكلاب الضالة والمسعورة من مزايدات وصفقات على حساب دماء الشهداء، خدمة للمصالح الصهيونية التي تستبيح غزة ساعة تشاء، لن يكتب لذلك الاستمرار طويلاً، فمن باع القدس كيف له أن يشتري غزة؟ ومن تلطخت يداه بدماء العرب في ليبيا وسورية واليمن والعراق وأنفق المليارات على المتطرفين والتكفيريين ودنس الكرامة العربية والإسلامية، وسمّم الأرواح وشوّه التاريخ، أنّى له أن يكون لغزة ناصراً؟

هل مفهوم «الثورة» نشر الإرهاب؟!

■ د. سلوى خليل الأمين

من المؤسف طعن مفهوم الثورة، فالثورة هي القضاء على الجهل والظلم والقهر والمرض والأمية والاحتكار والفساد والمفسدين الذين يعيثون في الأرض مكارههم. لذا انطلقت مفاهيم الثورات عبر التاريخ القديم والحديث عبر خطوط بيانية هدفها التغيير والإصلاح، وانطلقت في أوروبا مبادئ الثورة الفرنسية بعد عهود ملكية جائرة واختصرت بعبارات «إخاء، حرية، مساواة». كذلك نزلت الشرائع السماوية وهي ثورة إلهية على الجهل والجاهلين وعبدة الأصنام والشياطين، حاملة الصراط المستقيم وعناوين محبة وتسامح وعدالة وهدي وعلم ومعرفة وأخلاق سوية حميدة، أضف إليها ما بزغ من أحزاب علمانية قومية في عالمنا العربي بعد عهود من الاستعمار المقيت الذي عمد إلى مصادرة حرية الشعوب وسيادة أوطانهم، ما دفع بثورة الأحزاب الوطنية والعسكرية إلى النشوء المثقل بمبادئ المدّ القومي العربي الحر، فأضاء سماء هذا الشرق بالمشاعر الوطنية التي أفضت إلى تطلعات الشعوب إلى التغيير، خاصة بعدما بزغت إيديولوجيات الأحزاب الوطنية والقومية مثل حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب السوري القومي الاجتماعي والحزب الشيوعي وحركة القوميين العرب، وسارت مثل النار في الهشيم تغيّر المفاهيم العقيمة المتوارثة ومضامينها الجامدة، إضافة إلى مظاهر الرفض الذي بدأ يطوف بين الناس مُسقطاً الصراعات القبلية والعشائرية والدينية، بحيث أصبح شعار «الدين لله الوطن للجميع ولا إكراه في الدين» المد الحقيقي للتواصل الاجتماعي القابل للبناء والإنماء والتطوير، بعد عصور دهرية من الظلم والقهر والاستعباد والجفاف.

لكنّ المايسترو العالمي المدقّق في أحوال الدول والشعوب ومساراتها، ساءهت يقظة الشعوب ومطالبتها بالسيادة والحرية والاستقلال، فعمد إلى وضع الدراسات والخطط التي تفتّت الأوطان وتشرذم شعوبها، تحت شعار ثورة الإصلاحات والحرية والديمقراطية وبات مصطلحها في أذهان الناس منقذاً من الضلال، وصولاً إلى الهدى، وثبت ذلك بالدليل القاطع مسرىً ومجرىً خلال ما سُمّي بـ«ثورات الربيع العربي»، التي انطلقت حديثاً من تونس إلى مصر وليبيا فاليمن، وصولاً إلى سورية. هذا المخطط الممنهج لخلق حالة من الفوضى الخلاقة مضمونها العمل على تفتيت العالم العربي إلى شعوب وقبائل متناحرة، باسم الدين والمذهبية، أدى إلى خلق مجموعات إرهابية تكفيرية متطرفة استعملت الدين غطاءً لأعمالها الشريرة المبيتة، مدفوعة الثمن سلفاً، وقوامها تهجير مسيحيّي الشرق ونزع صفة المواطنة عنهم، إضافة إلى خلق حالة بلبلة جنونية بين شعوب المنطقة، وصولاً إلى تغيير نص القرآن الكريم، وتشريع «جهاد النكاح»، وكل ما نهى عنه الله في كتابه وسنّة رسوله، وما توارثته الأجيال من سلوكيات تأسّست على مكارم الأخلاق وعلى مفهوم الله رب العالمين جميعاً، وهو باعث الرسل جميعهم، وأنّ الحساب العسير له وحده، حيث «لا إكراه في الدين، ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، والله غفور رحيم».

لذا كان توصيف مفهوم الثورة مغلوطاً ومنقلّباً على عقبيه في زمن انتفاضات ما سُمّي بـ«الربيع العربي»، إذ كيف يجوز للثوار لأجل استرداد الحقوق أن يتعدّوا على حقوق الناس وأن يجبروهم على تغيير عقيدتهم الدينية، وأن يعملوا على ترحيلهم من ديارهم وفرض الجزية عليهم كأنهم مواطنون من الدرجة الثانية، متجاهلين قول الرسول عن أهل الكتاب، إنهم في ذمّته المقدسة، أي في حماه المحصّن من كل معتد غاشم وعقيم.

بعد هذه الأفعال السيّئة والهمجية كلها، وما نشهده من خزعبلات شريرة على مساحة العالم العربي، من العراق إلى سورية ولبنان ومصر وغيرها، نرى أنّ الطغيان والاستبداد وديكتاتورية القرارات هي لغة العصر المحمولة على الرايات الأميركية الصنع، التي ترفع جهاراً على جبين قادة «إسرائيل» الذين اغتصبوا أرضها وهجّروا ناسها وقتلوا أطفالها وسبوا نساءها وسجنوا شبانها ونوابها واحتكروا حالة الهجوم المنظم على أرض غزة التي ما زالت تقاوم وتقاوم على رغم ألوف الشهداء والجرحى والتدمير المنظم.

إنّها «الثورة» المنظمة والمنطلقة من دوائر القرار الصهيوني الأميركي تحت شعارات طائفية ومذهبية، آخرها ما اتحفتنا به وزيرة الخارجية الأميركية السابقة هيلاري كلينتون، عندما اعترفت بأنّ دولتها هي مَن نظم «داعش» ومَن أطلقها، والغاية إقامة حالة إسلامية متطرفة جديدة تخرّب مضامين الإسلام وتخبط خبط عشواء بالذبح والقتل وتقطيع الرؤوس وتهجير الناس من بيوتهم، خاصة المسيحيين منهم واليزيديين، وهذا أمر مباح ومبرّر لضمان أمن «إسرائيل» اللعينة التي ساهمت مساهمات فاعلة في تدمير سورية من خلال المشاركة الفعلية في تدريب العصابات الإرهابية وتسليحها وفتح قنوات مرورية لها للوصول إلى الأرض السورية، وآخرها بلدة عرسال التي ذاقت الأمرّين من النزوح السوري المكثف إليها، وهذا النزوح ضمّ من الخلايا النائمة ما لم يكن في حساب السلطات اللبنانية، علماً أن وزير دفاعها السابق فايز غصن نبّه إلى أهمية التيقّظ لوجود «القاعدة» و«داعش»، أي للإرهاب في لبنان، خاصة في عرسال، ولم يلتفت أحد إلى ما حذر منه، ربما من انعدام مسؤولية أو من تجاهل مقصود هدفه إضعاف قدرة الجيش اللبناني على الصمود والتصدي، نكاية بحزب الله الذي أخذ على عاتقه حماية لبنان من هذا الشرّ الشيطاني المدسوس الذي لم يستوعب أبعاده أولئك المستنفرون والمدفوعون عمداً إلى الهجوم الدائم على حزب الله وسلاحه المقاوم لـ«إسرائيل».

لذا لا بدّ من التأكيد على أهمية دور الجيش اللبناني في تثبيت الأمن في لبنان، وصون أسس الجمهورية، فالوطن يجب أن يبقى فوق الجميع، في حين اتضحت المعطيات السيّئة في حق الجميع، وأمسى الوفاق والتعاضد وتسليح الجيش الكلمة الفصل والموقف الصحّ.

«إمارة عرسال الداعشية» سقطت قبل الإعلان عنها

■ حسين الديراني

قبل بدء المعركة في عرسال، كانت مئات العيون من مختلف التنظيمات الإرهابية، من جبهة «النصرة» إلى «الجيش الحر» إلى «داعش» تخطط لما يسمونه بـ«تحرير القلمون» وربطه بعرسال وإعلان «الإمارة الاسلامية» وتنصيب أبو حسن الفلسطيني والياً على الإمارة، معتمدين بذلك على عدة عوامل ومتغيّرات في المنطقة، أوّلها «نشوة» النصر الخاطف والمدبر الذي حققته «دولة داعش» في الموصل ونينوى في العراق، وربطها جغرافياً بمحافظة الرقة السورية التي تحولت لاحقاً الى «دولة الخلافة الإسلامية» وتنصيب أبو بكر البغدادي خليفة للدولة المزعومة.

ثانيها، عودة المقاتلين العراقيين الذين كانوا يقاتلون إلى جانب الجيش العربي السوري وحزب الله في القلمون إلى العراق لصد الهجوم «الداعشي» الذي كان يهدف إلى الاستيلاء على بغداد، وصولاً إلى احتلال النجف وكربلاء وهدم المراقد المقدسة مثلما ورد على لسان الإرهابي «الداعشي» أبو محمد العدناني. وثالثها، انشغال الجمهورية الإسلامية الإيرانية في الحرب الدائرة على غزة وجعلها الأولوية في الاهتمامات الاستراتيجية بعد العراق وسورية. ورابعها، «نشوة» الكمين الذي نصبه المسلحون الإرهابيون في جرود نحلة – رأس المعرة – فليطا القلمون وسقط فيه عدد من شهداء وجرحى لحزب الله في 13 تموز الفائت، على رغم سقوط مئات من المسلحين بين قتيل وجريح نُقل معظمهم إلى مستشفيات عرسال والبقاعين الأوسط والغربي.

هذه العوامل كلها أسالت اللعاب في أفواه جميع الفصائل المسلحة الإرهابية التي تتحصن في جرود عرسال بعد فرارها من المناطق المحررة في القلمون، إذ بدأت الخطة بجمع قواهم والاستعداد لمبايعة أبو حسن الفلسطيني الذي يعمل تحت راية «الخليفة» أبو بكر البغدادي، ثم خوض معركة كبرى «لتحرير القلمون» والهجوم لاحقاً على البلدات والقرى التي تحتضن المقاومة في السلسلة الشرقية من لبنان من اللبوة شمالاً وصولاً إلى علي النهري جنوباً، فتكون عرسال عاصمة الإمارة من دون المشاركة في القتال.

مقابل مئات العيون التي كانت تخطط لهذا المشروع الجهنمي كانت ألوف العيون تسهر وتراقب وتستعد لسحق هذا المشروع قبل انطلاقه، فشن حزب الله بمساندة الجيش العربي السوري عدة هجمات استباقية على معاقل المسلحين وقتل المئات منهم، واستولى على مرتفعات استراتجية، وقطع أوصال المسلحين بحيث باتوا محاصرين يلتفون حول بعضهم البعض في مساحة طولها 40 كيلومتراً وعرضها 10 إلى 17 كيلومتراً، ولا منفذ لهم سوى مدينة عرسال اللبنانية التي كانت المأوى والملجأ للمسلحين الإرهابيين مطمئنين إلى عدم مهاجمتها لما لها من حساسية في الوضع اللبناني المعقد بالطائفية والمذهبية، بحيث أن مهاجمتها تغدو اعتداء على «أهل السنة والجماعة» وهذا ما تتجنبه المقاومة والدولة، إضافة الى طائرات «أيوب» التي كانت تراقب تحركات المسلحين وتحصي أعدادهم وأعداد الوجبات الغذائية التي كانت تنقل إليهم من مدينة عرسال.

عندما ضاق الخناق على قادة المسلحين قام أبو حسن الفلسطيني بشن هجوم على مواقع الجيش اللبناني داخل مدينة عرسال وخارجها بعد إلقاء الجيش اللبناني القبض على الإرهابي في «دولة داعش» أبو أحمد جمعة المطلوب للعدالة اللبنانية، ما دفع باقي التنظيمات المسلحة التي كانت على وشك مبايعته الى إلقاء اللوم عليه، ومما ورد في المواقع الإلكترونية التابعة لـ«عرسال الآن»: «لقد ثبت لنا أنك عميل مع حزب الشيطان فبدلاً من أن تنقل المعركة إلى اللبوة وبعلبك الشيعية نقلتها إلى عرسال السنية»، والكلام موجه إلى أبو حسن الفلسطيني.

بعد الاعتداء على الجيش اللبناني في عرسال، ليس مثلما قبله. المعركة الآن بحجم الوطن وليست معركة «الدواعش» مع حزب الله وبيئته الحاضنة. فالاعتداء هو على لبنان كله جيشاً وشعباً ومقاومة، وعدد شهداء الجيش اللبناني وجرحاه لن يكون ثمنه استعادة المخطوفين من قوى الجيش والأمن اللبناني، وإذا كانت عودتهم مرهونة بإنقاذ الإرهابيين من العقاب فستكون خيانة لدمائهم الطاهرة، وهذا الإنقاذ يعمل له «دواعش» لبنان الذين باتوا معروفي الهوية وبينهم نواب في البرلمان اللبناني، تحديداً الثلاثي كبارة ـ الضاهر ـ المرعبي المنتمي إلى تيار «المستقبل» وبعضهم من يعمل في الخطوط الخلفية تحت وزارة أو إدارة لبنانية، والانقسام الداعشي في لبنان داخل تيار المستقبل بات ظاهرا بين من هو سعودي وقطري تركي، وكذلك باتت لـ«دولة داعش» في لبنان «هيئة علماء» يتزعمهم الشيخ سالم الرفاعي تعمل جاهدة لإنقاذ الارهابيين الذين اعتدوا على الجيش اللبناني والإفلات من العقاب، وعلى الدولة اللبنانية رفع الحصانة عن النواب الثلاثة الذين يهاجمون قيادة الجيش الوطني ويجاهرون بدعمهم «دولة» البغدادي.

معركة عرسال التي كانت بمثابة انتحار للجماعات التكفيرية الإرهابية سوف تنتهي بهزيمة نكراء لهم من دون تدخل حزب الله مباشرة في المعركة، فالجيش الوطني اللبناني الذي يجمع على دعمه معظم الشعب اللبناني وقادته السياسيين ويتمتع بغطاء دولي كفيل بإنهاء المعركة لمصلحته وسحق وردع المعتدين، وبذلك تكون «إمارة عرسال الداعشية» سقطت قبل الإعلان عنها.

على من ساهم في اختطاف القوى الأمنية اللبنانية ألاّ يخرج من دون عقاب، فمصطفى الحجيري المعروف بـ«أبو طاقية» والمسؤول عن اختطافهم وإذلالهم لا يستحق سوى غرفة مظلمة في سجن رومية يمضي بقية عمره فيها مع السجناء الإرهابيين.

المشهد العرسالي بات منقسماً على نفسه بعد إلقاء اللوم على أبو حسن الفلسطيني وتحميله مسؤولية الفشل في إدارة المعركة. وسوف تتحوّل المعركة إلى معركة بين التنظيمات الإرهابية المسلحة في القلمون وجرود عرسال، فكل طرف يحمّل الطرف الآخر مسؤولية الهزيمة، ووردت معلومات مؤكدة عن مقتل الإرهابي «الداعشي» أبو حسن الفلسطيني في القلمون خلال اشتباكات بين «جبهة النصرة» و«داعش».

عندما نخجل من عروبتنا

■ راسم عبيدات ـ القدس المحتلة

في مشاهد متناقضة أحياناً تودّ لو أن الأرض تبتلعك وتعلن البراءة من عروبتك عندما تشاهد مدى الذلّ والخنوع والانهيار الذي لحق بهذه الأمة على يد حكام وقيادة عربية لا ينطبق عليهم سوى قول الشاعر العربي العراقي الكبير مظفر النواب «هم بغايا بأفواههم». بلى يا مظفر، بغايا وأكثر من ذلك، فعندما تسمع تصريحاتهم ومقابلاتهم تجزم بأن هؤلاء لا ينتمون ولا يمتون إلى هذه الأمة بصلة ولا ينتمون إليها من قريب أو بعيد، فهم وصمة عار في جبين هذه الأمة التي أضحت خارج حسابات التاريخ البشري العاقل، لا تملك التقرير في شأن قضاياها، وغير مؤثرة أو فاعلة في أي من القضايا الإقليمية والدولية، فعلى رغم المجازر الوحشية كلّها التي يرتكبها العدو الصهيوني في حق غزة وأطفالها والتي بلغت حد الإبادة الجماعية والتطهير العرقي وجرائم الحرب، ترى وزير خارجية النظام المصري يتحدث كأنه وزير خارجية فرنسا أو بريطانيا داعياً «إسرائيل» إلى عدم استخدام القوة المفرطة في عدوانها على غزة، في تشريع واضح لها في جرائمها ومجازرها. وكذلك وزير الاستخبارات السعودي السابق تركي الفيصل والمجرم بندر بن سلطان اللذان يحمّلان ما حصل ويحصل في غزة لحماس والمقاومة... إلى ما هنالك من القيادات والزعامات العربية المنهارة التي تعودت الذل والخنوع والعيش على التبعية والاستقواء بالأجنبي لحمايتها والدفاع عن عروشها ومصالحها. فهذه القيادات والزعامات ليست وحدها تتحمّل المسؤولية، بل كذلك الشعوب العربية وأحزابها وقواها السياسية ومؤسسات مجتمعها المدني إذ تسكت على مثل هذه القيادات والزعامات، فلو كانت هناك شعوب وأحزاب حية لما سكتت وصمتت صمت القبور حيال ما يحصل ويرتكب في غزة من جرائم حرب وتطهير عرقي على يد الإحتلال الصهيوني. أليس من العار أن تقدم دول أميركا الجنوبية على سحب سفرائها من دولة الاحتلال وتوجه إليها الاتهام بارتكاب جرائم حرب وسفارات الاحتلال وممثلياته في عواصمنا تحرسها جيوش الأنظمة، المجلّلة بالعار والتيجان والنياشين والأوسمة الخسة والنذالة. إن حرية الشعوب لا تجلبها لا بيانات شجب واستنكار، ولا صور وأعلام، ولا خطب نارية، ولا سجع ولا طباق. الحرية تعمد بالدم والتضحيات والسجون، تعلموا الرجولة وكرامة الرجال وعزتهم من أطفال غزة، وليس من مقاوميها فأنتم بقاماتكم جنوداً وضباطاً وقادة وزعامات لا تصلون إلى قامات أطفال غزة وليس إلى قامات مقاوميها... أنتم قيادات وزعامات تستدخل الهزائم وتنظر إليها على أنها انتصارات. أنتم قيادات لا تعرف معنى العزة والكرامة... قيادات ليست مستنمرة، بل مستنعجة.

تلك هي الصورة الأولى والوجه الأول للعملة التي تشعرك بالغثيان والرغبة في التقيؤ والتبرّؤ من العرب والعروبة، وحتى الكفر بها. وفي المقابل، على الوجه الآخر من العملة، صورة تشعرك بالعزة وتفخر بعروبتك حتى ترى بلداً بحجم قطاع غزة المحاصر من العرب العاربة والمستعربة قبل غيرها من الدول الاستعمارية الأخرى، فيه رجال مقاومين يصنعون فخراً وفجراً لأمة أذلتها تلك القيادات المهترئة والمخصيّة. بلى، رجال يثبتون للقاسي والداني أن الإرادة تصنع المعجزات، وبأن دولة الاحتلال هذه مثلما قال عنها السيد حسن نصر الله «أوهن من بيت العنكبوت» لمن يملك الإرادة، ولمن يريد أن يمحو ذله وعاره، ولمن يبني استراتيجية على أساس الصمود والانتصار.

دولة مدججة بجميع أنواع السلاح والتكنولوجيا يهزمها بضعة ألوف من المقاتلين، على رغم الفرق الكبير في التسليح وموازين القوى في سائر المجالات، وثبت في الميدان أنهم متفوّقون على العدو بالإرادة وبالانتماء وحب الوطن وقوة الحق، وأخلاقياً كذلك تفوقوا عليه إذ استهدفوا جنوده، ولم يستهدفوا أطفالاً ونساء ومدنيين عزّلاً، وتفوقوا عليه أيضاً بأنهم طلاب نصر وشهادة. تفوّقوا عليه بأنهم أصحاب حق. يقولون لنا افخروا، ونقول لكم ما قاله الشاعر العراقي الكبير مظفر النواب: «إننا أمة لو جهنم صُبّت على رأسها واقفة». هذه القيادات والزعامات المأجورة والمخصيّة، التي أدمنت الذل، لا تمثلنا ولا تمت إلى عروبتنا بصلة. إنها جرذان صعدت وداست على رقاب شعوبها في غفلة من الزمن... آن الأوان لكنسها والتخلص منها. نحن من يقرّر مصير شعبنا. من يناضل ويضحي ويدفع الثمن ويستمر في المقاومة وصون الأهداف وحقوق الشعب الفلسطيني. الشعب الفلسطيني هو صاحب الشرعية، ولا شرعية خارج إطار المقاومة، ومن أدمن المفاوضات لأجل المفاوضات وألّف لها الكتب فليسر خلف مفاوضاته العبثية. إنه خيار سقط وسقط معه جميع حملة هذا الخيار والنهج والثقافة. العدو عنجهّي ومتغطرس ولا يقدم تنازلات جدية وحقيقية مجانية، وهو مرتاح إلى هذا النهج الذي يخدم مشروعه في التهويد و«الأسرلة»، وفي استمرار قضم الأرض وطرد البشر.

غزة يا عرب المحاصرة تهزم وتمرّغ في الوحل هيبة «الجيش الذي لا يقهر» وأنتم تدعمون وتقفون إلى جانب دولة الاحتلال لأجل أن تذبح المقاومة وتهزمها، كي لا تظهروا عراة على حقيقتكم، فنحن خبرناكم جيداً عندما شنت «إسرائيل» حربها العدوانية على حزب الله والمقاومة اللبنانية في تموز 2006، وقفتم وساندتم «إسرائيل» سراً وعلانية، ووصفتم حزب الله بالمغامر، وانتظرتم أن تجهز «إسرائيل» على حزب الله، وكظمتم غيظكم عندما لم تستطع ذلك، وكي لا تعمّم تجربة حزب الله ويشتدّ حلف المقاومة والممانعة في العالم العربي ومحوره، لجأتم الى شن حملة ظالمة ومشبوهة ضد حزب الله بلغت حد التخوين والتكفير والشيطنة وحتى إثارة الفتن المذهبية وإرسال الانتحاريين والسيارات المفخخة إلى الضاحية الجنوبية.

الآن، بعد الحرب الصهيونية الهمجية على شعبنا وأهلنا في قطاع غزة، أضحى الفرز واضحاً بين من هو عربي أصيل وذي انتماء، ومن هو عربي بالاسم فحسب أو بوثيقة السفر أو قيد النفوس. هذه الملايين كغثاء السيل تذهب، ولا يمكث في الأرض ولا يبقى غير الحجارة والمقاومين.

على رغم انهياركم وتخاذلكم وتآمركم، لا بد لهذه الأمة من أن تأخذ درساً في التخريب. لا بد لهذه الأمة من أن تصحو وتقلب عروشكم المثبتة بالدبابيس، فزلزال غزة ونصرها هو ربيع عربيّ حقيقي سيزهر ويثمر في أكثر من بلد عربي.

عدوان غزة ومآلات الصمود

■ إياد الجرّاش

تستمرّ «إسرائيل» في عدوانها على غزة أرضاً وشعباً وثقافة، بعدتها وعديدها، وبشراسة لا تعرف التراجع إلاّ تحت ضربات المقاومين وصمودهم. في حين تدور المفاوضات في مصر كأنها تحاك في ظل أصوات الدمار!

أدركت «إسرائيل» بعد حرب تموز 2006 أن تغييراً جذرياً في استراتيجيات المقاومة طرأ وسيتطوّر سريعاً جداً، ما يقتضي منها تغييراً في استراتيجياتها للتمكن من تسجيل نقاط في حروبها القادمة مع المقاومة في لبنان أو فلسطين. وهذا ما أشار إليه المحلل العسكري الأميركي ماكس بوت (من مجلس العلاقات الخارجية في الولايات المتحدة) في مقالته بتاريخ 2009/1/4 إذ قال: «إن «إسرائيل» لن تحسم المعركة على نحو تام بل ستكرر هذا النوع من الحروب منخفضة المستوى لأعوام عدة وربما لعقود عدة». هذا فعلاً ما تنتهجه «إسرائيل» حيال المقاومة منذ حرب تموز 2006. وبذلك تجد المقاومة نفسها ليس أمام مشروع محدّد زمنياً، إنما أمام استراتيجية متواصلة ذات صلة بطبيعة «إسرائيل» وعدم استعدادها لقبول فكرة التعايش مع كيان فلسطينيٍّ مستقل ومع محيط عربيٍّ مكافئ. لذا استغلت الظّرف الإقليمي المضطرب وغياب دول خط المقاومة (سورية والعراق) وانشغال حزب الله بالحرب في سورية وانشغال إيران بإنجاز اتفاقها النووي، لتنفيذ حلقة جديدة من حلقات حربها ضد المقاومة، آملةً في تحقيق مجموعة من الأهداف تتمثل في الآتي:

إسقاط حماس مادياً وعسكرياً مع بقية الفصائل وجعلها عاجزة عن إعادة بناء نفسها عسكرياً من جديد.

تهديم البنية التحتية في غزة لتحويلها إلى ورقة تفاوض من خلال مشروع إعادة الإعمار، مقابل نزع السلاح، وبذلك تعمل على تدجين الوعي الفلسطيني وأسره اقتصادياً، بالتالي يتم عزله مع الوقت عن المقاومة اجتماعياً وثقافياً.

فرض تهدئة طويلة الأمد، وذاك ما يسعى إليه نتنياهو دوماً في سياساته، حتى في أوقات الحرب.

القيام بمفاوضات مباشرة من خلال الوسيط المصري، وبذلك تُأسر جميع أطراف المقاومة.

لطالما تميزت تكتيكات المقاومة حيال «إسرائيل» بنموذج حرب العصابات الذي يرتكز على تنظيم دقيق واتصال رفيع بين المقاتلين وقدرة كبيرة على التطور والتلاؤم مع الجغرافيا والسلاح، لذا كان استخدام الأنفاق في الحرب تطوّراً وعامل مفاجأة حاسماً لمصلحة المقاومة، منحها إمكان فرض توقيت المعركة، ما أرغم «إسرائيل» على إعادة النظر في سقف أهدافها وفي تأثير القوى الإقليمية المحيطة بها، كما دفعها إلى التهدئة والهدنة ولو موقتاً ريثما تعيد ضبط إيقاع الحرب أو تستعيد التوازن نسبياً، علماً أنّ صواريخها على غزة لم تشكل أي ضغط نفسي على أهل القطاع، على رغم الخسارة في الأرواح والقتل والدمار وعلى رغم كل ما تفرضه «إسرائيل» من حصار خانق على أهل القطاع، بل زادتهم تمسكاً بالمقاومة وتأييداً لها، ما انعكس رعباً مقيماً في نفوس المستوطنين «الإسرائيليين» وضغطاً أمنياً ونفسياً سيبقى بعد الحرب لسنوات. ستستمر «إسرائيل» في عدوانها، وتستمر المقاومة في صمودها وفي الدفاع بصبر وأناة ودقة وانسجام عسكرياً. على أمل أن تتهيأ الظروف يوماً ما للتحول من المقاومة إلى حرب تحرير شعبية واسعة تشمل أرض فلسطين كاملة. ولكن ما تخشاه «إسرائيل» في كوامن وعيها الشعبي والاستراتيجي أن يفلت زمام إنهاء المواجهة والحرب من يدها مثلما أفلت زمام بدء هذه الحرب، نظراً إلى ما تخفيه المقاومة من مفاجآت تؤرق القادة والسياسيين في «إسرائيل».

أعادت المقاومة ترسيخ مفهوم الانتصار في الوعي العربي، ففعل المقاومة بحد ذاته انتصار، وثقافة المقاومة هي ثقافة انتصار، وكل مدافع عن وطنه منتصر، في فلسطين وسورية ولبنان والعراق. إنها بؤر المقاومة والانتصار ومواقع التصدي والتحدي والصمود، ضدّ أميركا و«إسرائيل»، وضد جميع ظواهر التاريخ الشاذة مثل «داعش» وأمثالها، ولنا في حوادث التاريخ عبرة ودروس.